الباب الأول

في بيان ميزات منهج أهل السنة ووجوب اتباعه، واهتمام العلماء به، وإقامة الحجة على أنه الأسلم والأعلم والأحكم.

الفصل الأول - تعريفات لبعض المصطلحات المهمة في البحث.

ويشتمل على ثلاثة مباحث.

المبحث الأول - العقيدة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني - معنى السنة في اللغة والاصطلاح، ومعنى أهل السنة وألقاب أهل السنة.

المبحث الثالث - معنى الصفة في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني - بيان نشأة مصطلح أهل السنة وخصائص عقيدة أهل السنة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول - نشأة أهل السنة وتاريخ إطلاقه.

المبحث الثاني - خصائص عقيدة أهل السنة.

الفصل الثالث - بيان اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح وبيان قواعد التلقي والاستدلال والنظرة الصحيحة لدور العقل. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول - اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح.

المبحث الثاني - قواعد وأصول في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة.

المبحث الثالث - النظرة الصحيحة لدور العقل عند أهل السنة.

المبحث الرابع - الأدلة على وجوب اتباع أهل السنة ولزوم منهجهم.

المبحث الخامس - طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم.

الفصل الأول

تعريفات لبعض المصطلحات المهمة في البحث

المبحث الأول

العقيدة لغة واصطلاحاً

العقيدة لغة: من العقد، وهو الربط والشد بقوة، منه الإحكام والإبرام والتماسك والمراصة والإثبات والتوثيق[1].

العقيدة في الاصطلاح: كلمة العقيدة لم تكن موجودة في الكتاب والسنة ولا في أمهات معاجم اللغة، وأن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري سنة (437هـ) في كتابه «الرسالة» وهي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأول[2].

وقد عرفها الدكتور ناصر العقل فقال: «الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع لرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم، والاتباع»[3].

---

(1) انظر: لسان العرب (عقد) (3/ 295 - 300)، والقاموس المحيط (عقد) (1/ 327 - 328).

(2) انظر: معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر أبو زيد، ص (242).

(3) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص (9)

ولفظ العقيدة يشمل: التوحيد، والإيمان، والإسلام، والغيبيات، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وسائر أصول الدين والاعتقاد، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع، وسائر الملل والنحل والمذاهب الضالة، والموقف منهم.

ومن مسميات هذا العلم: العقيدة، والتوحيد، والسنة، وأصول الدين.

المبحث الثاني

في بيان معنى السنة في اللغة والاصطلاح

أولًا - السنة: في اللغة:

هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة، محمودة كانت أو مذمومة، قال ابن فارس: والسنة السيرة، وسنة رسول الله ﷺ سيرته، قال الهذلي:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها[1]

وفي لسان العرب: «والسنة هي السيرة حسنة كانت أو قبيحة وقال: وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيها الطريقة»[2].

ومنه قوله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[3].

---

(1) ابن فارس، مجمل اللغة، بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان (20/ 455).
(2) لسان العرب، مادة (سنن) (13/ 225).
(3) مسلم، كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة، (4/ 2059)، ح (1017).

ثانياً - السنة: في الاصطلاح:

تختلف السنة في اصطلاح كل من المحدثين، والأصوليين والفقهاء وعلماء الوعظ وأصول الدين وإن كان الجميع يتفق على أنها سنة النبي ﷺ، وإنما وقع الاختلاف عند التفصيل والتحديد[1].

فالسنة عند المحدثين: «هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية، أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها»[2].

والسنة عند الأصوليين: قال الآمدي رحمه الله: «أما في الشرع فقد تطلق السنة على ما كان من العبادات نافلة، منقولة عن النبي ﷺ، وقد تطلق على ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية مم ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز، وهذا النوع هو المقصود بالبيان هاهنا، ويدخل في ذلك أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقاريره»[3].

السنة عند الفقهاء: قالوا: «السنة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب»[4].

السنة عند السلف: إذا نظرنا في كلام علماء أهل السنة، نجدهم يعنون بالسنة معنى أوسع من معناها عند المحدثين، أو الأصوليين، أو الفقهاء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولفظ السنة في كلام السلف، يتناول السنة في العبادات، وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات»[5].

---

(1) وسطية أهل السنة بين الفرق للشيخ محمد باكر بن محمد، بتصرف ص (17)

(2) انظر: قواعد التحديث للقاسمي، ص (64).

(3) الأحكام في أصول الأحكام للآمدي، (1/ 127).

(4) انظر: السنة ومكانتها، للسباعي، ص (48). ولقد استفدت في هذا البحث من كتابين مهمين هما: منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد، ومجمل أصول السنة والجماعة.

(5) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص (78).

وأما ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «السنة هي: الطريق المسلوك فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلَّا على ما يشمل ذلك»[1].

وقد جمع الشيخ ناصر العقل تعريفاً شاملاً لمعنى السنة في الاصطلاح الشرعي مفهوماً عاماً، وهو: «أنها تعني الدين الذي جاء به الرسول ﷺ، من العلم والعمل والهدي، ومفهومات تتفرع عن هذا المفهوم، كالسنة مقابل القرآن الكريم، والسنة بمعنى المشروع، وخلافه البدعة، والسنة بمعنى أصول الدين والاعتقاد السليم، والسنة بمعنى الحديث، والسنة بمعنى النافلة»[2]

معنى السنة عند أهل السنة:

هذا المصطلح يراد به أحد معنيين:

المعنى الأول. وهو معنى عام يدخل فيه جميع المنتسبين إلى الإسلام، ويخرج منه ذلك الرافضة، فيقال: هذا رافضي، وهذا سني، وهذا اصطلاح العامة[3].

ويبين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: «جمهور العامة لا تعرف ضد السني إلَّا الرافضي، فإذا قال أحدهم: أنا سني فإنما معناه لست رافضياً»[4].

وقد بين سفيان الثوري عندما سئل ما موافقة السنة؟ قال: «تقديم الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»[5].

---

(1) جامع العلوم والحكم، ص (249).
(2) مفهوم أهل السنة والجماعة، (47).
(3) وسطية أهل السنة بين الفرق، رسالة دكتوراه، ص (36).
(4) الفتاوى، (3/ 356).
(5) اللالكائي: شرح أصول السنة، (1/ 152).

المعنى الثاني. معنى أخص وأضيق من المعنى العام ويخرج معه أهل البدع والأهواء من الخوارج والمرجئة والقدرية وغيرهم من أهل الضلال.

يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «فلفظ أهل السنة يُراد به من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلَّا الرافضة، وقد يُراد به: أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلَّا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إن القرآن غير مخلوق وإن الله يُرى في الآخرة ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[1].

فأهل السنة هم أصحاب رسول الله ﷺ، لأنهم تلقوا عنه مباشرة أمور الاعتقاد كما تلقوا أمور العبادة، فهم أعرف الخلق بسنة نبيهم وأتبع لها ممن جاء بعدهم.

وهم أيضاً: التابعون لهم بإحسان، المقتفون آثارهم في كل عصر ومصر، وعلى رأسهم أهل الحديث والأثر، الذين نقلوا إلينا سنة رسول الله ﷺ وميزوا صحيحها من سقيمها، وعملوا بها واعتقدوا ما دلت عليه.

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله في بيان أهل السنة: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة، فأهل السنة هم: الصحابة رضي الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين - رحمة الله عليهم - ، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم»[2].

ألقاب أهل السنة:

هناك ألقاب لأهل السنة والجماعة يعرفون بها، منها:

---

(1) منهاج السنة النبوية، بتحقيق محمد رشاد سالم (2/ 220).
(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، (2/ 113).

1 - أصحاب الحديث والأثر:

وذلك لاشتغالهم بحديث رسول الله ﷺ وآثار أصحابه رضوان الله عليهم تمييزاً وفهماً وعملاً، واحتجاجاً بها.

قال الإمام أحمد رحمه الله:

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار[1].

2 - السلف الصالح:

والمراد بهم: الصحابة رضي الله عنهم، وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين، وعظم شأنهم فيه، وتلقى المسلمون كلامهم - خلفاً عن سلف - بالرضاء والقبول كالأئمة الأربعة، والسفيانين، والليث بن سعد، وعبد الله بن مبارك، وإبراهيم النخعي، والبخاري، وسائر أصحاب السنن، ودون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي، مثل الخوارج والروافض، والمعتزلة، والجبرية[2].

3 - الفرقة الناجية المنصورة:

الحديث: «. . . **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلَّا ملة واحدة**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[3].

وحديث: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[4].

(1) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله (2/ 43).
(2) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (1/ 33).
(3) رواه الترمذي في سننه (5/ 26)، كتاب: الإيمان رقم (2641).
(4) رواه مسلم في صحيحه (3/ 1523)، وكتاب: الإمارة حديث رقم (1920).

المبحث الثالث

معنى الصفة لغة واصطلاحاً

الصفة لغة: «وصف الشيء له وعليه إذا حلاه، وقيل: الوصف مصدر، والصفة الحلية، وقال الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ولغته والوصَّاف العارف بالوصف»[1].

وقال صاحب مختار الصحاح: «استوصف الطبيب لدائه سأله أن يصف له ما يعالج به، والصفة كالعلم والجهل والسواد والبياض. وأما النحويون فليسوا يريدون هذا، بل الصفة عندهم النعت إلى المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة»[2].

والصفة في الاصطلاح: «إن صفات الله توقيفية، فلا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان، بل الواجب الوقوف عند ما وصف الله نفسه أو وصفه بها رسوله محمد ﷺ إذ لا يصف الله أعلم من الله، ولا يصفه من خلقه أعلم من رسوله ﷺ، ولا يقال في صفاته: هي مجاز، بل صفاته كلها حقيقة على ما يليق بالله تعالى، وإيماننا بصفات الله تعالى على وفق إيماننا بذاته تعالى، بل هو إيمان إثبات وتسليم لا تكييف فيه ولا تشبيه، وبالتالي لا تحريف فيه ولا تعطيل، بل إيماننا بالله وبصفاته في ضوء الكتاب والسنة ما تدل عليه من التنزيه الكامل مع إثبات الصفات إثباتاً لا يصل إلى التشبيه والتجسيم، وهذه النصوص تتفق مع الأدلة العقلية التي تدعو إلى الإيمان بجميع كمالات الرب تعالى بالجملة، مثل كمال الذات، وكمال الصفات، وكمال الأفعال، ولا فرق عند السلف بين صفات الذات كالقدرة، والعلم، والإرادة مثلاً وبين

(1) لسان العرب (9/ 356).
(2) مختار الصحاح ص (274، 275).

صفات الأفعال كالاستواء والنزول والمجيء، لأنها كلها جاءت بها نصوص الكتاب والسنة. والعقل السليم لا يرفض ذلك بل يبادر إلى قبوله»[1].

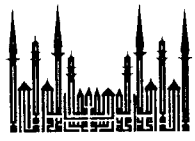

(1) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، بتصرف (84، 85).

الفصل الثاني

بيان نشأة مصطلح أهل السنة وخصائص أهل السنة

المبحث الأول

بيان مصطلح «أهل السنة» وتاريخ إطلاقه

يرجع إطلاق لفظ أهل السنة إلى صدر الإسلام، إلى عصر النبوة، والقرون المفضلة، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران: 106]. أما الذين ابيضت وجوههم: فأهل السنة والجماعة وأولو العلم، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة[1].

ثم تتابع ورود استعمال هذا اللفظ وإطلاقه عن كثير من أئمة السلف - رحمة الله عليهم - ، فمنهم أيوب السختياني (68 - 131هـ).

فقد أخرج اللالكائي عنه أنه قال: «إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي»، وقال أيضاً: «إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة»[2].

وإليك أخي المسلم ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل في مقدمة كتاب السنة حيث قال: «هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين

---

(1) ابن كثير، التفسير (1/ 398).

(2) اللالكائي: شرح أصول أهل السنة، (1/ 60، 61).

بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا»[1].

وبهذا القول يتضح لنا أن لفظ أهل السنة معروف عند السلف وميزوا به بينهم وبين أهل البدع، كما وضَّح ذلك الإمام أحمد وغيره من الأئمة الثقات الأثبات

المبحث الثاني

خصائص عقيدة أهل السنة

لعقيدة أهل السنة والجماعة خصائص امتازت بها، سنذكر بعضها في هذا البحث ونوجز ذلك لظهورها وخوفاً من الإطالة فلا تحتاج إلَّا لتذكير الناسي، وتنبيه الغافل، وتعليم الجاهل، وسنجعل هذه الخصائص العظيمة في نقاط هي:

1 - أنها مستقاة من مصادر الإسلام الأولى: الكتاب والسنة، بعيدة عن كل تأثير أجنبي طارىء على البيئة الإسلامية ومجردة من تأويلات العقول ونزعات الأهواء ومجادلة الفرق.

2 - أنها تبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام وتقطع دروب الشيطان إلى النفس بعد أن تترك في النفس الطمأنينة الصادقة والارتياح الكامل، وهذا هو الموقف الذي يرتضيه الإسلام، قال الله تعالى: .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: 15].

بينما تجد الكثيرين من أتباع الفرق الأخرى في حيرة من اعتقاداتهم الفاسدة.

---

(1) السنة ص (33-34) مع كتاب الرد على الجهمية.

3 - أنها تجعل موقف المسلم المعظم لنصوص الكتاب والسنة، لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب، وفي ذلك منجاة كبرى، ومزية عظمى، لأنها تعصم المسلم من رد معاني نصوص الكتاب والسنة أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى ويلائم القصد.

4 - أنها تربط المسلم بالسلف العظيم فتزيده عزة وافتخاراً، كيف لا وهي تجعله يسير على خطى الصحابة، وغيرهم من سلف الأمة المباركة، سادة الأولياء وأئمة الأتقياء، وما كانوا عليه من الدين الذي لا جدال فيه، كل ذلك يزيد المسلم بصيرة في دينه[1].

فهو متأكد أنه يسير في ظلال الفرقة الناجية التي وصفها النبي ﷺ في حديث افتراق الأمة: «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلَّا واحدة**». قالوا: ما هي يا رسول الله؟قال: «**من كان على مثل من أنا عليه وأصحابي**»[2].

ولا يستطيع أحد أن ينفي هذا الوصف عن سلف هذه الأمة أو يدَّعي أنهم كانوا على غير بينة في دينهم، لأن في ذلك رداً ضمنياً لوصف الله تعالى بقوله: .

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: 11].

ولا شك أن من كان على طريقتهم ممن جاء بعدهم أهل الحق والصواب وهم الفرقة الناجية، وهذا ما قرره المحققون من أهل العلم، قال الإمام علي ابن المديني: «إن الطائفة الناجية هم أهل الحديث»[3].

---

(1) انظر: كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية من كلام المحقق رضا بن نعسان (1/ 11، 12).

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب، الإيمان، (5/ 26، 298 رقم 2641).

(3) تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص (27)

5 - إن القرآن الكريم قد نبه إلى ضرورة الالتزام بما كان عليه المسلمون السابقون وحذر من اتباع غير ذلك، قال الله تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1] [سورة النساء: 115].

وقال أيضاً:

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: 6]. وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

6 - أنها تحقق للمسلمين الوصف الذي رضيه الله تعالى لهم حيث ذكرهم بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [سورة النساء: 65].

7 - أنها توحد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم، لأنها عقيدة الكتاب والسنة فهي تحقيق عملي واستجابة صحيحة لنداء الله تعالى: .

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [سورة آل عمران: 103].

8 - كما تنفرد هذه العقيدة بأن فيها التمسك بسنة النبي ﷺ كاملة، وعدم رد أي شيء منها إذا ما اجتمعت فيها الشروط التي توجب الأخذ بها، وعدم التفريق بين متواترها وآحادها قبولاً وردًّا في العقيدة قبولاً للأول، وردًّا للثاني، كما يفعل أرباب الكلام والفرق، وإن الأخذ بالسنة كاملة هو تحقيق صادق لقول النبي ﷺ: «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[2].

9 - إنها تجنب المسلم الهلكة بتركه الخوض في البدع والزيغ فهي تبتعد بالمسلم حقاً عن التفكير في ذات الله تعالى، فهي سهلة ميسرة بعيدة عن التعقيد والألغاز، لأن معالجة السلف للقضايا تتسم بالبساطة واليسر، ولذا فإن كل

---

(1) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية بتصرف من كلام المحقق (1/ 13، 14، 15).
(2) أخرجه أبو داود (4607)، والترمذي (2676)، والدارمي (1/ 44).

محاولة للابتعاد عن الفطرة والوضوح هي محاولة للابتعاد عن حقيقة الدين[1].

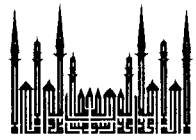

(1) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، (1/ 17، 18).

الفصل الثالث

بيان اهتمام العلماء بعقيدة السلف وبيان قواعد الاستدلال والتلقي، والنظرة الصحيحة لدور العقل

المبحث الأول

اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح

قد اهتم علماء أهل السنة اهتماماً بالغاً بعقيدة السلف الصالح، ولذلك ألّفوا الكتب الكثيرة في إيضاحها من جهة، وفي الرد على أعدائها ومخالفيها من شتى الطوائف والفرق من جهة أخرى، ومذهب السلف وعقيدتهم إنما تعرف بالنقل عنهم، لا بمجرد الزعم، والتخرص، كما هو الحال عند بعض أهل البدع، والعلماء دَوَّنوها مُسْندةً، وذكروا ألفاظهم في ذلك بالأسانيد، ونقلوها لنا بالتواتر، كما نُقلت إليهم بالتواتر، وذلك واضح في طوائف المسلمين ممن كان على مذهب السلف من الفقهاء الأربعة، ومن أهل الحديث وغيرهم ممن هم على منهج أهل السنة.

والملحوظ لدينا من خلال البحث النزيه أن تدوين العقيدة السلفية قد واكب تدوين السنة النبوية سواءً بسواء، ومن ثم فإن الذين عنوا بالسنة وتدوينها هم أول من عنى بالعقيدة وتدوينها، وقد لا ينتبه كثير من أتباع الأئمة الأربعة الفقهاء، أن لأئمتهم سبقاً في هذا المضمار، وأن ما نقل عن بعضهم من أقوال أو تأليف، يعتبر بداية لتدوين عقيدة أهل السنة والجماعة، فللإمام أبي حنيفة (ت 150هـ) كتابان في العقيدة هما الفقه الأكبر، والوصية، وللإمام مالك (ت 179هـ) في موطئه كتاب القدر، وقد نقل عن الإمام الشافعي (ت204 هـ) كلام كثير يبين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة، ويقيم الحجة على أهل البدع والأهواء كأهل الكلام ونحوهم.

أما صاحب الراية والمتقدم على بقية الأئمة في نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة والمدافع عنها والمتحمل في سبيل ذلك الأذى والمحن، فهو الإمام أحمد بن حنبل (ت241 هـ) وله عدة كتب خاصة في العقيدة، إلى جانب ما دونه في «مسنده»[1].

ومن أهم الكتب التي ألفها الإمام أحمد في مجال العقيدة:

1 - السنة.

2 - الإيمان.

3 - الرد على الزنادقة والجهمية.

4 - فضائل الصحابة.

كما أن له مسائل في العقيدة دوّنها تلاميذه عنه.

ومن أئمة الحديث الذين دونوا السنة النبوية وأفردوا في صحيحهم أبواباً هامة في العقيدة الإمام البخاري رحمه الله تعالى (ت256 هـ). ففي صحيحه: كتاب الإيمان وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وكتاب التوحيد.

كما أن له كتباً مستقلة أخرى أفردها في بيان العقيدة الصحيحة، والرد على مخالفيها وأهم هذه الكتب:

1 - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

2 - خلق أفعال العباد.

ثم يأتي دور الإمام مسلم (ت261 هـ) الذي خصص أبواباً في صحيحه لتقرير العقيدة الصحيحة، والرد على من خالفها، ومن ذلك: كتاب الإيمان، وكتاب القدر.

وكذلك فعل الإمام الترمذي (ت279 هـ).

---

(1) انظر: وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق، ص (279، 280).

أما الإمام ابن ماجه (ت 273 هـ)، فقد افتتح سننه بمقدمة ذكر فيها الرد على من خالف السنة، وعقيدة السلف الصالح.

وفعل مثله الإمام أبو داود (ت 275 هـ)، حيث جعل في آخر سننه، كتاباً أسماه (كتاب السنة) ردَّ فيه على أهل البدع بمختلف طوائفهم وفرقهم.

ومن علماء الحديث الذين ردوا على المخالفين في ضمن مؤلفاتهم الإمام الدارمي (ت 255 هـ) في بداية سننه.

وعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211 هـ) في مصنفه، وابن أبي شيبة (ت 235 هـ)، في مصنفه أيضاً.

كما أن لابن أبي شيبة كتاباً مفصلاً اسمه الإيمان[1].

أما الكتب الخاصة المؤلفة في عقيدة أهل السنة والجماعة والرد على مخالفيها فهي كثيرة جداً، ولا يكاد يخلو عصر من العصور إلَّا ونجد فيه عالماً من العلماء الأفذاذ يصنف كتاباً في ذلك، ابتداءً من القرون الفاضلة إلى يومنا هذا.

ومن أشهر العلماء الذين لهم مؤلفات في هذا الباب إلى أواخر القرن الرابع الهجري تقريباً.

وليس القصد الاستقصاء والحصر، وإنما القصد إيراد الأمثلة على اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح وتدوينها، ومن أشهر هؤلاء العلماء، وأشهر مصنفاتهم في هذا الباب:

1 - محمد بن يحيى العدني (ت272 هـ) وله كتاب الإيمان.

2 - أبو بكر بن الأشرم (ت272 هـ) وله كتاب السنة.

---

(1) انظر: وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق، للدكتور جمال أحمد بادي، ص (281، 282).

3 - عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ)، وله الرد على الجهمية، وتأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث.

4 - عثمان بن سعيد الدارمي (ت282 هـ)، وله كتابان:

(أ) الرد على الجهمية «مطبوع».

(ب) الرد على بشر المريسي «مطبوع».

5 - ابن أبي عاصم (ت 287هـ)، وله كتاب السنة «مطبوع».

6 - عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (ت 290هـ)، وله كتاب السنة.

7 - محمد بن نصر المروزي (294هـ) وله كتابان:

(أ) السنة «مطبوع».

(ب) تعظيم قدر الصلاة، وقد ذكر فيه مسائل تتعلق بالإيمان، وردَّ فيه على بعض الفرق المنحرفة «مطبوع».

8 - الإمام الطبري (ت 310هـ) وله كتابان:

(أ) صريح السنة «مطبوع».

(ب) تهذيب الآثار «مطبوع».

9 - ابن خزيمة (ت311هـ) وله كتاب التوحيد في إثبات صفات الرب عزوجل.

10 - الإمام الطحاوي (ت321هـ)، وله كتاب «العقيدة الطحاوية».

وقد شرحها ابن أبي العز الحنفي (ت 792هـ)[1].

11 - أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ) وله من الكتب:

(أ) الإبانة عن أصول الديانة، وقد حققها أكثر من باحث.

(ب) رسالة إلى أهل الثغر.

---

(1) انظر: وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق، ص (282، 283).

(ج) مقالات الإسلاميين، وقد ذكر فيها عقيدة أصحاب الحديث مجملة.

12 - عبد الرحمٰن بن أبي حاتم (ت327 هـ)، وله كتابان:

(أ) أصل السنة.

(ب) اعتقاد الدين.

13 - الحسن بن علي البربهاري (ت 329هـ)، وله «كتاب السنة».

14 - أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت 360هـ) وله كتابان:

(أ) الشريعة.

(ب) التصديق بالنظر إلى الله تعالى، وهما مطبوعان.

15 - أبو محمد عبد الله بن محمد جعفر بن حبان الأصفهاني (ت369هـ)، وله كتاب العظمة.

16 - الإمام الدارقطني (ت385هـ)، وله عدة كتب أهمها:

(أ) الصفات.

(ب) أحاديث النزول.

(ج) فضائل الصحابة.

(د) الرد على نفاة الرؤية.

17 - الإمام عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري (ت387هـ)، وله من الكتب:

(أ) الإبانة الصغرى.

(ب) الإبانة الكبرى.

18 - الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت 395 هـ)، وله من الكتب:

(أ) الرد على الجهمية.

(ب) الإيمان.

(ج) التوحيد.

(د) معرفة الصحابة.

19 -ابن أبي زمنين (ت 399هـ)، وله كتاب أصول السنة.

20 -أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت418هـ)، وله كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[1].

المبحث الثاني

قواعد وأصول في منهج التلقي والاستدلال عند أهل السنة

لمنهج أهل السنة والجماعة أصول وقواعد وأسس في التلقي والاستدلال منها:

أولاً - الاعتصام بالكتاب والسنة وحصر التلقي لأحكام الدين وأصوله، وفروعه، في هذا المصدر، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع، وأن لا يعارضهما شيء من المعارضات، لا بمعقول ولا رأي، ولا قياس، ولا ذوق، ولا وجد، ولا مكاشفة، ولا منام، ولا غير ذلك[2].

ومصدر العقيدة عندهم: هو الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع السلف الصالح[3].

---

(1) انظر: وجوب لزوم الجماعة، وذم التفرق، ص (283، 284، 285).

(2) انظر: مجموع الفتاوى ج (13/ 8، 29، 58، 60، 62، 63، 68، 135، 136، 141، 145). ج (16/ 251، 252، 272، 273، 471).

(3) انظر: مجمل أصول السنة والجماعة في العقيدة للعقل، ص (7).

ثانياً - كل ما صح من سنة رسول الله ﷺ وجب اعتقاده، وإن كان آحاداً[1].

السنة الصحيحة الثابتة حجة، ولذلك اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بحديث رسول الله ﷺ فقاموا بتدوينه وميزوا بين صحيحه وضعيفه، وأفردوا مصنفات خاصة بالأحاديث الواهية والموضوعة، ونبهوا الناس عليها وكتبوا الكتب التي تخدم السنة وتبينها وتوضحها وتنقيها[2].

ثالثاً - العقل الصريح موافق للنقل الصحيح، ولا يتعارض قطعياً منها أبداً، وعند توهم التعارض يُقدم النقل.

رابعاً - الأدلة الشرعية قد تكون سمعية، وقد تكون عقلية نبه عليها الشارع[3].

خامساً - التزام النص وطرح التأويل، فالأصل عند أهل السنة هو الأخذ بظاهر الألفاظ، وما دلت عليه من الحقيقة[4].

والقرآن نزل بلغة العرب، ومن أراد أن يفهمه فمن جهة لسانهم يفهم[5].

ولذلك فهم يلتزمون بالألفاظ الشرعية في العقيدة ويجتنبون الألفاظ البدعية كالألفاظ التي عند الفلاسفة وعلماء الكلام.

وكذلك لا يستعملون الألفاظ المجملة التي تحتمل أكثر من معنى، أما

---

(1) انظر: مجمل أصول السنة والجماعة في العقيدة، للعقل، ص (7)،
(2) انظر: لزوم الجماعة وترك التفرق، لجمال بادي، ص (262، 363).
(3) انظر: درء تعارض العقل، (1/ 198)، مجموع الفتاوى (13/ 137-138).
(4) انظر: الصواعق المرسلة، لابن القيم، (1/ 320).
(5) انظر: الموافقات للشاطبي (2/ 61-64)، وانظر: الاعتصام للشاطبي (2/ 293-301).

إذا استعملها غيرهم من أهل البدع فإنهم يستفسرون منهم عمَّا أرادوه باستعمالها، فما كان من حق أقروه، وما دلت عليه من باطل ردوه[1].

يقول ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلٰهية هو سبيل أهل السنة والجماعة»[2].

سادساً - الجمع بين أطراف الأدلة، وذلك يرجع إلى القرآن كله، وإلى السنة كلها قبل تقرير أي حكم أو مسألة، وأن لا يضرب كتاب الله بعضه ببعض كما حذر النبي ﷺ، ومن أمثلة هذا الأصل: الجمع بين نصوص الوعد، والوعيد، والجمع بين أحاديث الشفاعة، وما ورد في فضل كلمة الإخلاص، وبين الأحاديث التي دلت على شروطها[3].

سابعاً - الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة، لأنهم أعلم الناس بمعرفة مراد الله ورسوله ﷺ، فقد عاصروا التنزيل، وتربوا على يد الرسول ﷺ ولازموه وخبروا أقواله وأحواله، وكانوا أفصح الناس لساناً فبلغتهم نزل القرآن الكريم، وقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم، وشهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية والأفضلية، فواجب على من جاء بعدهم إلى يوم القيامة الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، والسير على نهجهم[4].

ثامناً - «العصمة ثابتة للرسول ﷺ، والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع على ضلالة: وأما الأفراد فلا عصمة لأحد منهم، وما اختلف فيه الأئمة وغيرهم فمرجعه إلى الكتاب والسنة، مع الاعتذار للمخطئ من مجتهدي الأمة»[5].

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص (218، 223).
(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص (107).
(3) معارج القبول، (1/ 315-320).
(4) الفتاوى لابن تيمية، (13/ 23-27).
(5) مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة ص (8)

تاسعاً - في الأمة محدثون ملهمون، والرؤيا الصالحة حق، والفراسة للمؤمن ثابتة، وتعتبر الرؤيا الصالحة والفراسة الصادقة من المبشرات والكرامات بشرط عدم مخالفتها للشريعة، وليست مصدراً للعقيدة ولا للتشريع.

عاشراً - المجادلة بالحسنى في بيان الحق مطلب شرعي، والمراء منهي عنه وما صح الإمساك فيه وجب الإمساك عنه، وتفويض علمه إلى الله.

الحادي عشر - البدعة لا ترد البدعة، ولا يقابل التفريط بالغلو، ولكن يجب الالتزام بمنهج الوحي في الردّ، كما يجب في الاعتقاد.

الثاني عشر - «كل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[1].

الثالث عشر - يردون المتشابه إلى المحكم[2].

المبحث الثالث

النظرة الصحيحة لدور العقل عند أهل السنة

والعقل السليم عند أهل السنة هو الذي يرضى ويطمئن ويقدر ويشعر بعظمة الله تعالى، وهو الذي يفكر ويتدبر في مخلوقات الله العظيمة البثوثة في هذا الكون الفسيح ويتأمل فيما أودع الله في هذا الكون والمخلوقات.

وأهل السنة لا يلقون العقل جانباً كما هو مفهوم عند الكنيسة، فالبحث العقلي ليس مذموماً على الإطلاق، إنما يذم إذا اكتفى به عن الأدلة الشرعية وقدم عليها غيرها أو عارض نصوص الدين.

---

(1) انظر: مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، للعقل، ص (8، 9).
(2) انظر: مجموع الفتاوى (13/ 270، 314).

كما أن العقل السليم لا دخل له في مجال الغيب في أمور العقيدة السمعية، أما أبحاث العقيدة التي يستدل بها على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته والبعث والجزاء، فقد طالب القرآن العقل البشري أن يهتدي إليها، فهي أدلة تدعم النصوص وتزيد في تثبيت الاعتقاد، ولهذا يجد المتأمل في كتاب الله تعالى الآيات الكثيرة التي تحث العقل البشري على التأمل والتفكر والتبصر والتدبر.

إن فتح المجال أمام العقل البشري لينطلق في مجالات الكون فيذلل الصعاب ويرشد الإنسان إلى طَرْق باب الحضارة مما يعود على البشرية بالخير العميم، إن سير العقل في هذا الاتجاه أمر حسن جميل، بل هو طريقه الطبيعي ومساره الاعتيادي، أما أن يسمح للعقل أن يتدخل في مجالات الغيب ويلاقي منا كل تشجيع واستحسان فهذا خطأ فادح وحماقة كبرى ترتكب في حق حاضر الإنسان ومستقبله وإهانة صريحة للعقل بتوريطه بالانزلاق، في مسارب لا دخل له بها هذه هي النظرة الصحيحة لدور العقل السليم عند أهل السنة، بل نعتقد أنه من النعم العظيمة التي يعجز عن شكرها أن يكون العقل مستنيراً بالكتاب والسنة، ويسترشد بها على فهم أحكام دينه سواء عقيدية أو عبادية أو أخلاقية أو من المعاملات[1].

المبحث الرابع

الأدلة على وجوب اتباع أهل السنة ولزوم منهجهم

● من القرآن الكريم:

والآيات في ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: 115].

(1) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، (1/ 15، 16، 17).

وامتدح الله تعالى السابقين من المهاجرين والأنصار، ومن اقتفى آثارهم، وكان على هديهم، وبين أنه رضي عنهم قال تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: 100].

● من السنة:

والأحاديث الواردة عن الحبيب المصطفى في وجوب اتباع أهل السنة كثيرة منها: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»(1).

ومن حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(2).

فأمر النبي ﷺ أمته بأن يتبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين، وذلك عند وقوع الاختلاف والتفرق.

كما جاء وصف الفرقة الناجية في حديث الافتراق قول النبي ﷺ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(3).

● من أقوال أهل السنة:

ولأهل السنة آثار طيبة مباركة في دراستها حياة للقلوب، ومعرفة للسلف الصالح في تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والتسليم وإليك بعضها:

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري (5/ 199).

(2) أبو داود (4607)، والترمذي (2676)، والدارمي (1/ 44).

(3) أبو داود كتاب السنة رقم (4596)ج4، ص (1907).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم»[1].

وقال أيضاً: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[2].

وعنه أيضاً: «من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[3].

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقِف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفُّوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[4].

وقيل لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من كلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: «مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة»[5].

المبحث الخامس

طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم

شاع عند المتأخرين من المتكلمين أن طريقة السلف أسلم وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم، ومن هنا قال من قال من النفاة: إن طريقة الخلف أعلم

(1) الإمام أحمد (2/ 110)
(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، (155، 106).
(3) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (2/ 97).
(4) الآجري في الشريعة، ص (58).
(5) صون المنطق من الكلام للسيوطي، ص (32)و ص (332).

وأحكم، وطريقة السلف أسلم، لأنه ظن أن طريقة الخلف فيه معرفة النفي، الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعنى نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم، علم بمعقول، وتأويل لمنقول، وليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيها - أيضاً - رد على من يتمسك بمدلول النصوص، وهذا عنده أحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عنده عدم النظر في فهم تلك النصوص لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم، لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان، فتفسيره ببعضها دون البعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن تلك سلامة من هذه المخاطرة.

فلو كان قد بُين وتبين لهذا وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات، وفهم ما دلت عليه، تدبره وعقله، وإبطال طريقة النفاة، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول، علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم وأهدى إلى الطريق الأقوم، وأن طريقة النفاة المنافية لما أخبره الرسول ﷺ طريقة باطلة شرعاً وعقلاً، وإن من جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الآيات، وعدم إثبات ما تضمنته من صفات، فقد قال غير الحق: إما عمداً وإما خطأ وهؤلاء النفاة هم كذابون: إما عمداً أو خطأ على الله وعلى رسوله وعلى سلف الأمة وأئمتها، كما أنهم كاذبون: إما عمداً، وإما خطأ على عقول الناس، وعليّ ما نصبه الله تعالى من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية[1].

وإذا تأملت حال من قال: إن السلف طريقتهم أسلم، وأن الخلف أعلم وأحكم، تجد أن المتأخرين لم يمتازوا عن الخلف لا بعلم ولا بحكمة، وإنما امتازوا بالتكلف، أما السلف فطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.

ومن أتاه الله علماً وإيماناً، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق

(1) انظر: منهج الاستدلال في مسائل الاعتقاد، ج2، ص (512، 513).

إلَّا ما هو دون تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات وبالعمليات علم أن مذهب السلف دائماً أرجح من قول من بعدهم[1].

● الأدلة من القرآن الكريم على أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: 143]. والوسط: «الخيار العدل، فالصحابة خير أمة، وأعدلها في أقوالها وأعمالها وإرادتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة»[2].

● ودليل السنة:

قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...**»[3].

ولابن القيم كلام في معنى الوسطية، قال ابن القيم: «وهذه الخيرية دين وعلم وفضل، فلا يجوز أن تخلو هذه العصور الفاضلة من الحق والصواب، حتى يكون فيمن بعدهم من أهل القرون المفضولة من يعلمه، لأنه يلزم من ذلك أن يكون هذا القرن المتأخر خيراً من القرون الفاضلة، ولو في هذا الوجه، وهذا ما يدل نص الحديث على بطلانه، بل يجب تقديمهم على من بعدهم في كل باب من أبواب الخير»[4].

---

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب: الإيمان بتصرف، ص (417).
(2) تفسير ابن كثير (1/ 275، 276).
(3) رواه البخاري في صحيحه (11/ 244) فتح الباري كتاب: الرقائق، باب: زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم (6429).
(4) انظر: إعلام الموقعين (4/ 136).

● دليل الإجماع على أن طريق السلف أعلم وأحكم:

وإليك أخي المسلم اتفاق أهل السنة والجماعة على أن طريق السلف أسلم وأعلم وأحكم: حكى شيخ الإسلام اتفاق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على: «أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد، وغيرها من كل فضيلة من علم وإيمان وعقل ودين، وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلَّا مكابر»[1].

ولعل ما ذكرته من شرح مبسط، وأدلة قاطعة من الكتاب والسنة والإجماع، فيه الكفاية والبركة في كون منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم.

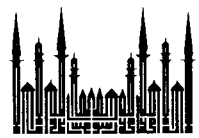

(1) انظر: الفتاوى لابن تيمية (4/ 157، 158).